مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

يرتكز هذا البحث على مقدمتين قرآنيتين هما:

١. أنّ القرآن الكريم صادر عن الكمال المطلق (الله) سبحانه وتعالى. والكمال لا يصدر عنه نقص، ولذلك فالقرآن الكريم كامل ومن كماله أنّه كتاب مبين ’فلو لم يكن بيّناً في نفسه فليس له الكمال في بلاغته.

٢. أنّ القرآن صادر عن المحيط بكل شيء ’وهو تجلّ وانعكاس للعلم الإلهي بالأشياء فيكون تبياناً لكلّ شيء.

وينتج من هاتين المقدمتين أنّ القرآن تبيان لنفسه ’وهذه النتيجة هي موضوع البحث.

إذ حاول البحث أن يثبت أنّ القرآن كلّه سياق واحد مبين يفسر نفسه بنفسه بل يدفع عن مضامينه كل ما يناقضها أو يفرض عليها من قراءات ذاتيّة.

وإذا كان الموضوع يختصّ بالتفسير وجب أن يفصل عن التأويل إذ إنه تبنّى الأطروحة التي ترى أنّ التفسير يشمل جميع المعاني القرآنيّة والتأويل يشمل الحقائق الخارجية والمصاديق التي تنتزع منها المفاهيم.

وقد تابع البحث مادّته في أهم التفاسير القرآنيّة التي انتهجت هذا المنهج’ وسار على خريطة عامّة قائمة على منهج حصر الألفاظ القرآنية حصراً عقلياً’ فكانت فصوله متناسقة مع طبيعة لغة القرآن الكريم. فالألفاظ أمّا أن تفسر بألفاظ أخرى مغايرة للأولى من حيث الصياغة اللّغوية ومادة اللّغة فكان هذا التفسير في الفصل الأول (النظائر القرآنية). وأمّا أن تفسر بألفاظ مشابهة لها في الصياغة والمادّة اللّغويّة كما في الفصل الثاني (التماثل اللّفظي).

وإمّا أن تفسّر بمجموع الألفاظ المشابهة والمغايرة ُفيكون ذلك في نظام السياق القرآني.

وكانت الخريطة التفصيلية قائمة على أساس الجانب اللّغويّ حيث إنّها رسمت في إطار لغوي يمثّل أبرز السّمات اللّغويّة للتعبير القرآني، فكانت الفصول ثلاثة يسبقها تمهيد في تأصيل منهج تفسير القرآن بالقرآن وبيانه. ثم الفصل الأول تبينت فيه (النظائر القرآنية) وهو يقع في مبحثين: النظائر القرآنية والمراتب الدّلالية بين النظائر القرآنية.

المبحث الأول رصد تفسير الكلمة وبيّن الفوائد التفسيرية ُوتشمل : بيان الدّلالة والتخصيص ثم تفسير الجملة ُوبيّن أثر النظائر المتعدّدة في التفسير . المبحث الثاني وقف على أنواع المراتب الدّلالية بين النظائر القرآنية ُ وهي: الاتحاد والتّقارب والانفتاح والتّضارب .

أمّا الفصل الثاني فأثبت التفسير القرآني في ضوء التماثل اللّفظيّ بمبحثين: المبحث الأول وضّح أثر العناصر اللّغويّة في التفسير على النحو التالي: التفسير بالاسم من جيث تعيين الأفراد وتخصيص الدّلالة وبيانها، ثم التفسير بالصفة من حيث بيان الصفة النّكرة وبيان الاسم العامّ، وبعده التفسير بالإضافة اللّغويّة من حيث بيان النّكرة، وتعميم الدّلالة وتخصيصها، وبيان الدّلالة المجازيّة ثمّ التفسير بالاشتقاق ٠

المبحث الثاني كشف طرائق تفسير الجملة ُوهي : الجامع المشترك والقرينة العقليّة واللّفظيّة والتفسير بالمشاكلة. والتحويل الدّلاليّ. والتفسير ببيان جهات الخطاب والتفسير بالدّلالة الطوليّة.

أمّا الفصل الثالث فقد ركّز على أثر السياق القرآني في التفسير بمبحثين: المبحث الأول : ذكر أهم العناصر اللّغويّة السياقيّة في تفسير الكلمة ُ وهي: الأسماء والصفات والاضافة اللّغويّة والجارّ والمجرور والمقابلة والجملة والسياق الكلّيّ.

المبحث الثاني بيّن أثر السياق في تفسير الجملة بوساطة عناصر الجملة والتفسير بحدود الجملة وأنواع الجمل: الحاليّة و النّعتيّة والتّفسيريّة وغيرها وترتيب الجمل والتفسير بالمقابلة والتّقسيم والمغايرة والسياق الكلّيّ ونحو ذلك .

وقد أثبت القرآن الكريم قدرته على بيان ذاته بفضل وحدته المعنوية وعدم اختلافه إلا إن البحث وجد أمامه صعوبات كان أهمها ثلاث 'وهي:

-لم تكن مصادر البحث متوفرة 'وكان بعضها ذا طبعات قديمة .

- أن التفاسير القديمة لم تعتمد على هذا المنهج الا قليلاً 'وكانت هناك تفسيرات متناثرة في بطون المجلدات، فقلما يحصل الباحث عليها إلا بعد أن يقطع مدة طويلة في البحث عنها.
- لم يجد البحث منهجاً متكاملاً في تفسير القرآن بالقرآن لا تتداخل فيه روافد التّحليل العلمي 'ولعلّ السبب يعود إلى وحدة القرآن إذ إنّها لا تتحدّد في أطر ثابتة مستقلة فالقرآن يفسّر نفسه من جوانب متعددة .
- مواجهة النفس بحيث لا يسمح لها بالتدخّل في عملية التفسير، وذلك ما يفرضه هذا المنهج أكثر من سواه. فان التفسير -هنا- من عطاء القرآن لا من عطاء الأذهان. فعلى الباحث أن يقبل ما يقبله القرآن 'ويرفض ما يرفضه القرآن، وهذا هو السند القوي الذي منح الباحث قوّة واجه بها الصعوبات المتقدمة، فسهّل كلّ صعوبة و فرّج كلّ حزونة بتوفيق الله -تعالى- فجاءت الخاتمة ونتائج البحث تؤكّد ذلك 'وتقرر جانباً من إعجاز القرآن البياني، وهو تفسيره لذاته وبيانه لألفاظه وإعجازه في الدّفاع عن نفسه بقدرته على رفض التفسير بالرأي الذّاتيّ والتّصدي بوجه القراءات التفسيرية القائمة على أسس غير قرآنية.